صفحه
٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اليقين
وسدرة المنتهى

رمزى محمود ابراهيم

علم اليقين
وسدرة المنتهى

الفهرس

تمهيد

إذا راقبنا حركة الشمس خلال اليوم الواحد ، نراها تتحرك على صفحة السماء من الشرق الى الغرب ، كأنما تدور حولنا دورة كاملة كل يوم .. وحقيقة الامر أن هذه الحركة ظاهرية ، إذ الواقع أن الأرض هى التى تدور حول الشمس ..

وهذه الحقيقة على بساطتها ، ورغم أنها من المبادئ التى يعرفها الصغار فى مدارسهم ، كلفت البشرية الكثير ، فقد دفع أحد قدامى العلماء حياته ثمنا لإعلان هذه الحقيقة ، وفقد آخر بصره من أثر اضطهاده لجرأته فى القول بأن الأرض تدور حول الشمس ، ولقى ثالث حتفه حرقا لتجاسره على مخالفة رجال الدين فى القرون الوسطى ، والقول بأن الأرض ليست مركزا للكون الذى حولنا ..

ومثال ذلك " جاليليو " الفزيائى الايطالى ، الذى صنع المنظار المقرب لرصد سطوح القمر والنجوم عام ١٦١٠م ..

وقد ملأ هذا العالم الدنيا علما جديدا عن الفوهات والتجاويف التى على سطح "القمر" وعن الاقمار التى تدور حول "المشترى" وحول " المريخ" ، والحلقات التى يتمنطق بها " زحل " والاوجه التى يتغير عليها كوكب " الزهرة " ..

وقدر لمعارضيه أن ينتصروا عليه ويزجوا به فى السجن بعد أن حوكم أمام مجمع الكرادلة فى روما ، وحكم بأحراق مؤلفاته التى قالوا بأنها أفسدت عقول الناس !!

ولقد ظل الرجل فى سجنه يصرخ ويقول " ومع ذلك فالأرض تدور " حتى كف بصره وتوفى فى عام ١٦٤٢م (١)

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) - الطريق الى الكواكب . م . سعد شعبان

ولو قيل قبل نصف قرن فقط ، أن الانسان سيبتكر جهازا صغيرا مثل الكمبيوتر ، يستطيع من خلاله ان يرسل بضع صفحات مكتوبه خلال دقيقة واحدة لقطع عشرات الآلاف من الكيلومترات عبر الفضاء الواسع ، ليظهر هناك في أقصى مكان في العالم ، على شاشة صغيرة أخرى ، دون أن يوصل بين الجهازين أية توصيلات مباشرة (مثل الاسلاك) ، لأمسكوا به وزجوه في أحدى مصحات المجانين ، واتهموه بالكفر والالحاد ...

ولكننا عشنا حتى رأينا هذه الحقيقة العلميه في واقعنا ، بل وعايشنا ما هو اكبر من ذلك ، مثلا في مركبات الفضاء التي تحمل الانسان الى القمر ، وتستكشف غيره من الكواكب والنجوم ..

فإذا كان الانسان ، هذا المخلوق الضعيف المحدود القدرة ، الذي لم يستطع حتى الآن أن يفك طلاسم وجوده ، قد تمكن من تحقيق هذا التقدم العلمي الهائل ، فما بالنا بخالقنا الذي خلق الانسان ، وزود رأسه الصغيرة بملايين الخلايا العصبيه والشرايين الدقيقه ، التي لا ولن يصل الى سر خلقها ..

فكيف يتصور أو يتخيل كافر أو ملحد أن الله الذي خلقه ويسر له بلوغ هذه المرحلة من التطور ، يعجز أن يسري بعبده صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، ثم يعرج به الى السماوات العلى ، ليستكمل رسالته التعليميه الايمانيه للناس أجمعين ؟

فقال تعالى :

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾[1]

---

(١) - الاسراء : ١

الفصل الاول

(١) - على هامش الاسراء :

لقد جاءت معجزة الاسراء والمعراج تشريفا ورفعه لقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيانا لاهميه الصلاة ، وعلاجا لأمراض المجتمع ، وتحديا للغزو البشرى بما وصل اليه من غزو الفضاء ، وتحقيقا للمشاهد اليقينيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد رأى ربه عز وجل عيانا ، وكلمه كفاحا ، وشاهد الملائكه والانبياء وصلى بهم أماما -- وذلك تمحيصا أيضا للمؤمنين ، فمن كان مؤمنا حقا صدق وبلغ ، ومن كان ضعيف الايمان وقع فى التكذيب والضلال !! (١)

لقد وصف القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفه العبوديه ..

فقال تعالى :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ... ﴾ (٢)

وهذه الصفه تشعر المؤمن بأن أرقى درجات الكمال ، وأسمى المقامات ، هى تحقيق العبوديه لله رب العالمين .

وقال بعض العلماء : لو كان للنبى صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه فى تلك الحالة لسماه به ..

وقال القشيرى : لما رفعه الله الى حضرته السنيه ، وأرقاه فوق الكواكب العلويه ، ألزمه اسم العبوديه ، تواضعا للأمة (٢).

---

(١) مقالة الدكتور الشيخ محمد سليمان فرج . مجلة منار الاسلام . دولة الامارات عدد نوفمبر ١٩٩٥

(٢) الاسراء : ١ (٢) المصدر السابق .

ويقول تعالى :

﴿ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . ﴾(١)

وإن المتأمل في آيات هذه السورة ، يرى تكريما عظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد طهر عقله عن الضلال بقوله ﴿ ما ضل صاحبكم . ﴾ وعلمه من الغواية بقوله : ﴿ وما غوى ﴾ .. ونطقه عن الهوى بقوله : ﴿ وما ينطق عن الهوى ... ﴾ وفؤاده عن الكذب بقوله : ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ ، وبصره عن الزيغ بقوله ﴿ ما زاغ البصر ﴾ .. وعن الطغيان بقوله : ﴿ وما طغى ﴾ ...(٢)

وفي سورة التكوير أشار سبحانه وتعالى الى الرؤية بقوله :

﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون . لقد رآه في الأفق المبين . وما هو على الغيب بضنين . ﴾(٣)

* * * *

ونسرد هاهنا قصة الإسراء والمعراج بإيجاز مركز مستقاه من كتب السنة بالروايات الصحيحة ...

---

(١) النجم : ١ - ١٨ (٢) المصدر السابق (٣) التكوير : ١٩ - ٢٤

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، ذات ليلة غراء ، يبيت عند السيدة أم هانئ بنت عمه أبي طالب ، وهو مضطجع بين النائم واليقظان ..

وبينما هو كذلك إذ نزل عليه ثلاثة من الملائكة الكرام ، جبريل وبصحبته أثنان من البررة الاطهار ، فأحملوه حتى أتوا به الحجر بالمسجد الحرام ..

فشق جبريل عليه السلام صدره الشريف ، وأتى بطست من ذهب مملوء بماء زمزم المبارك ، فغسل به قلبه الشريف ، ثم أفرغ ينابيع الايمان والحكمة استعدادا وتأهيلا لما يشاهده في هذه الليلة المباركة من الآيات الكبرى ، واللقاء العظيم .

ثم جيئ له بالبراق ، وهو خلق من مخلوقات الله ذو سرعة فائقة ، حتى أنه يضع قدمه عند منتهى بصره ..

فركبه صلى الله عليه وسلم ، فسار به البراق مزهوا بهذا الشرف العظيم ، وجبريل الامين آخذ بركابه ..

وفي الطريق مر بأرض ذات نخل ، فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : أنزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال : صليت بطيبة والبها المهاجر ..

ثم سار .. فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم : انزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله أعلم ، قال : لقد صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ..

ثم سار .. فقال جبريل للنبي : أنزل فصل ، فنزل فصلى ، فقال له جبريل : أتدرى أين صليت ؟ قال : الله اعلم ، قال لقد صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ..

وسار البراق يطوى الأرض ، حتى أتى بيت المقدس ، فربطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحلقة التي كان يربطه بها الانبياء قبله ..

ثم دخل المسجد الاقصى ، فوجد الانبياء في استقباله ، ترحيبا بقدومه الكريم ،

ثم أقيمت الصلاة ، فأخذ جبريل بيد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقدمه أماما ، فصلى بهم ركعتين ، فلما قضيت الصلاة ، وقد بلغ العطش من النبي أشده ، جاء جبريل بإناء من لبن وإناء من خمر ، فاختار اللبن ، فقال له جبريل : أخطرت الفطرة ، ولو اخترت الخمر لغوت أمتك .. وهكذا الى أن رأى المشاهد والآيات الكبرى .

* * * *

فكان هذا الشرف العظيم ، أن يجمع الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله للقاء حبيبه صلى الله عليه وسلم في هذا المقام الكريم ، وفي هذا اللقاء العظيم أثنى الأنبياء على ربهم بمحامد هو أهلها وأهلها ..

ومن ذلك ثناء الخليل .. فقد قال ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام :
- الحمد لله الذي اتخذني خليلا ، وأعطاني ملكا عظيما ، وجعلني أمة قانتا يؤتم بي ، وأنقذني من النار ، وجعلها علي بردا وسلاما ..

وكذلك الكليم ، فقد أثنى موسى عليه الصلاة والسلام على ربه فقال :
- الحمد لله الذي كلمني تكليما ، وجعل هلاك آل فرعون ، ونجاة بني اسرائيل على يدي ، وجعل من أمتي قوما يهدون الى الحق ، وبه يعدلون ..

وكذلك داود ، فقد أثنى على ربه .. فقال :
- الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما ، وعلمني الزبور ، وألان لي الحديد ، وسخر لي الجبال يسبحن والطير ، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ..

وكذلك سليمان عليه الصلاة والسلام ، فقد أثنى على ربه فقال :
- الحمد لله الذي سخر لي الرياح ، وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير ، وآتاني من كل شيء فضلا ، وسخر لي جنود الشياطين ، والانس والطير ، وفضلني على كثير من عباده

المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب .

وكذلك عيسى ، فقد أثنى عيسى عليه الصلاة والسلام على ربه عز وجل .. فقال :

- الحمد لله الذي جعلني كلمته ، وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراه والانجيل ، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وجعلني أبرئ الاكمه والابرص ، وأحيي الموتى بإذن الله ، ورفعني وطهرني وأمي من الشيطان الرجيم ، فلم يكن الشيطان علينا سبيلا .

وأخيرا أثنى سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه .. على ربه عز وجل .. فقال :

- كلكم أثنى على ربه ، وأنا مثن على ربي : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين ، كافة للناس بشيرا ونذيرا ، وأنزل علىّ الفرقان فيه بيان لكل شئ ، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتي أمة وسطا ، وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون ، وشرح لي صدري ، ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحا وخاتما ..

وهذا يدل على شرف ~~المحق~~ الامامة وأن التفاضل يكون بأمامة الصلاة .

(٢).. على هامش المعراج

قال الإمام احمد[1] .... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ثم عرج بي الى السماء الدنيا ، فأستفتح جبريل ، فقيل له من أنت ؟ قال : جبريل ،
قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل اليه ؟ قال : قد أرسل اليه .. ففتح لنا
فإذا أنا بآدم ، فرحب بي ودعا لي بخير ..

ثم عرج بنا الى السماء الثانيه ، فأستفتح جبريل فقيل له : من أنت ؟ قال : جبريل ،
قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : قد أرسل اليه .. ففتح لنا
فإذا بأبني الخاله يحيى وعيسى ، فرحبا بي ، ودعوا لي بخير ..

ثم عرج بنا الى السماء الثالثه ، فأستفتح جبريل فقيل له : من انت ؟ قال : جبريل
قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : قد أرسل اليه ، ففتح لنا ،
فإذا أنا بيوسف عليه السلام ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بي ودعا لي بخير

ثم عرج بنا الى السماء الرابعه ، فأستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال : جبريل ،
فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل اليه ، قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ،
فإذا أنا بأدريس ، فرحب بي ودعا لي بخير .. ويقول تعالى : ﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾[2]

ثم عرج بنا الى السماء الخامسة ، فأستفتح جبريل ، فقيل : من انت ؟ قال : جبريل ،
فقيل ومن معك ؟ قال : محمد ، فقيل : وقد أرسل اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح
لنا ، فإذا أنا بهارون عليه السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السادسة ، فأستفتح جبريل ، فقيل ومن معك .. قال :
محمد ، فقيل : وقد بعث اليه ؟ قال : قد بعث اليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى عليه
السلام ، فرحب بي ودعا لي بخير ..

---

(١) - قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمه ، أخبرنا ثابت البناني عن أنس
بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ... الدكتور الشيخ محمد سليمان فرج . مجلة منار الإسلام
العدد ٧ السنة ٢١ بتاريخ ٢٢/١١/١٩٩٥ . (٢) مريم : ٥٧
وقد رواه مسلم أيضا بهذا السياق .

ثم عرج بي الى السماء السابعه ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من انت؟ فقال : جبريل ، فقيل : ومن معك؟ قال : محمد ، فقيل : وقد بعث اليه؟ قال : قد بعث اليه ، فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام ، وإذا هو مستند الى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون اليه.

ثم ذهبت الى سدرة المنتهى ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال ، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها ، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن يوصفها من حسنها ..

قال : فأوحى الله الي ما أوحى ، وقد فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فنزلت حتى انتهيت الى موسى .. قال : ما فرض ربك على أمتك؟ قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، قال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك ، وإني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم ..

قال : فرجعت الى ربي فقلت : أي رب خفف عن أمتي ، فحط عني خمساً ، فنزلت حتى انتهيت الى موسى ، فقال : ما فعلت؟ حط عني خمس ، فقال : إن أمتك لا تطيق ذلك ، فارجع الى ربك واسأله التخفيف لأمتك ..

قال : فلم أزل بين ربي وبين موسى ، ويحط عني خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليله بكل صلاة عشرا ، فتلك خمسون صلاة ، ومن هم بحسنه فلم يعملها كتبت له حسنه ، فإن عملها كتبت له عشرا ، ومن هم بسيئه فلم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت سيئه واحده ..

فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته ، فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. : لقد رجعت الى ربي حتى استحييت .

* * * *

(٢) ـ معجزات الاسراء والمعراج :

ومن ينظر بإمعان يرى معجزات كثيرة في حادثة الاسراء والمعراج ..

ومنها شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم .. فقد روت كتب السنة : قالت ام هانئ : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ليلة سبع وعشرين من شهر رجب الحرام .. قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذ فرج السقف ، فأتاني جبريل ومعه ميكائيل ، فاحتملوه فوضعوه عند بئر زمزم ، فقال جبريل لميكائيل : ائتني بطست من ماء زمزم ، كيما أطهره قلبه ، وأشرح صدره ، فشقه عن بطنه فغسله ثلاث مرات ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ..

كذلك معجزة خاتم النبوة ، ذلك الذي كان علامة واضحة ملموسة في ظهره صلى الله عليه وسلم .

وأيضا معجزة البراق .. (ثم أتاه بالبراق مسرجا ملجما ليركبه ، وهو دابة بيضاء طويلة فوق الحمار ودون البغل ، طويلة الظهر ، طويلة الأذنين ، وكانت الانبياء تركبه ، في فخذيه جناحان تحفز بها رجليها)

واعظم معجزات الاسراء والمعراج : اختصاصه صلى الله عليه وسلم برؤية ربه عز وجل ..

فقد أخرج النسائي بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : (أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد) عليهم الصلاة والسلام ..

ومن معجزات الاسراء والمعراج آذان بلال :

وهذا ما رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما ،

ان النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به دخل الجنة ، فسمع في جوانبها وحشا ،

فقال : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حين جاء الى الناس .: (قد أفلح بلال .. رأيت كذا وكذا) وبلال كان مايزال حيا يرزق على ظهر الدنيا ، وما أذن إلا فى المدينه بعد حادث الاسراء بمدة طويلة .. وما ذلك إلا لأن حدود الزمان والمكان قد أمحت فى تلك الليله المباركة بالنسبه لما يراه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن معجزات الاسراء والمعراج وصف بيت المقدس :

وهذا مارواه الشيخان واحمد عن جابر رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .. (لما كذبتنى قريش حين أسرى بى الى بيت المقدس ، قمت من الحجر ، فجلا الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه)

الفصل الثانى

سدرة المنتهى

قال المفسرون :[١]

والسدره شجرة النبق تنبع من أصلها الأنهار ، وهى عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى ، لأنه ينتهى اليها علم الخلائق وجميع الملائكة ، ولا يعلم احد ما وراءها إلا الله جل وعلا ..

وفى الحديث .. « ثم صعد بى الى السماء السابعه ، ورفعت الى سدرة المنتهى فإذا نبقها - اى ثمرها - مثل قلال هجر ، وإذا أوراقها كآذان الفيله ... » ..[١]

ونذكر فيما يلى روايه الأئمة فى هذا الشأن[٢] فى الاحاديث الواردة فى الاسراء .

(١)

روايه أنس بن مالك رضى الله عنه

قال الامام أبو عبد الله البخارى :

- .... ثم عرج به الى السماء السابعه ، فقالوا له مثل ذلك (فناداه اهل كل سماء فقالوا من هذا .. فقال جبريل) قالوا : ومن معك ، قال : معى محمد ، قالوا : وقد بعث اليه ، قال : نعم ، قالوا فمرحبا به وأهلا .) بما لا يعلمه إلا الله عز وجل ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله اليه فيما يوحى ...[٣]

وفى الحديث .. قال أبو ذر : يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه »

وفى روايه « رأيت نورا » اخرجه مسلم .[٤]

---

(١) صفوة التفاسير جـ٣، صـ٢٧٢ (٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢ صـ٤-٤٤ طبعه دار الريان.

(٣) ابن كثير جـ٢ صـ٤ (٤) ابن كثير جـ٤ صـ٤

وفى رواية أخرى لأنس بن مالك رضى الله عنه :

- ..... ثم عرج بى الى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل فقالوا : من أنت ؟
قال جبريل ، قالوا ومن معك ، قال : محمد ، قالوا وقد بعث اليه ، قال : نعم ...
ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك ، وإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، فقال جبريل :
يا محمد ألا تسلم على أبيك ابراهيم ، قلت بلى .. فأتيته فسلمت عليه فرد السلام ،
وقال مرحبا يا بنى الصالح والنبى الصالح ..

ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى أنتهى بى الى نهر عليه خيام اللؤلؤ
والياقوت والزبرجد ، وعليه طير أخضر أنعم طير رأيت ، فقلت يا جبريل ان هذا
الطير لناعم ، فقال يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال يا محمد ، أتدرى اى نهر هذا ؟
قال .. قلت : لا ، قال هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه ، فإذا فيه آنية من
الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضا من اللبن ،
قال فأخذت منه آنية آنية من الذهب ، فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو
أحلى من العسل ، وأشد رائحة من المسك ..

ثم انطلق بى حتى انتهيت الى الشجرة ، فغشيتنى سحابة فيها من كل لون ،
فرفضنى جبريل ، وخررت ساجدا لله عز وجل .. فقال الله لى : يا محمد إنى يوم
خلقت السماوات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها
أنت وأمتك ..

قال .. ثم انجلت عنى السحابة ، فأخذ بيدى جبريل ، فانصرفت سريعا ،
فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئا ، ثم اتيت على موسى .. فقال ما صنعت
يا محمد ....

(٢)

رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة

قال الإمام أحمد (١)

(... قال: ثم صعد حتى أتى السماء السابعة، فاستفتح لنا، فلما خلصت فإذا ابراهيم عليه السلام، فقال هذا إبراهيم فسلم عليه.. قال: فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح..

قال: ثم رفعت الى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، فقال: هذه سدرة المنتهى.. قال: وإذا أربعة أنهار نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع الى البيت المعمور ....

... فرجعت الى موسى، فقال بما أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم، فقال: إن أمتك لا تستطيع الخمس صلوات كل يوم، وإني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة، فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال: قلت قد سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم فنفذت، فنادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي.

(١) قال الإمام احمد حدثنا عفان، حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك بن صعصعة حدثه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم ليلة أسري به قال... ابن كثير ج٣ ص٨-٩

(٣)

روايه أنس عن أبي ذر

قال الزهري ، فأخبرني ابن حزم ، أن ابن عباس وأبا حبه الأنصاري كانا يقولان .. قال النبي صلى الله عليه وسلم[1] :

ـ ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ..

قال ابن حزم وأنس بن مالك .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ

ـ ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ....

ـ ثم انطلق بي حتى أتى بي الى سدرة المنتهى ، فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك ....

(٤)

روايه أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري

(.... ثم صعدت الى السماء السادسة ، فإذا أنا بموسى بن عمران ، رجل آدم كثير الشعر ، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص ، فإذا هو يقول : يزعم الناس إني اكرم على الله من هذا ، بل هذا اكرم على الله مني ، قال : قلت يا جبريل من هذا ، قال : هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه وسلم علي .

(١) ابن كثير جـ٢ صـ٦

ثم صعدت الى السماء السابعه ، فإذا انا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره الى البيت المعمور كأحسن رجل ، قلت يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك خليل الرحمن .. عليه السلام ومعه نفر من قومه ، فسلمت عليه ، فسلم علي ..

وإذا أنا بأمتي شطرين ، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب سود ..

قال : فدخلت البيت المعمور ، ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض ، وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب وهم على خير ، فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ، ثم خرجت أنا ومن معي ..

قال : والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه الى يوم القيامه ..

ثم رفعت الى سدرة المنتهى ، فإذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الامة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل ، فينشق منها نهران ، (احدهما) الكوثر ، (والآخر) يقال له نهر الرحمة .. فاغتسلت فيه ، فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إني رفعت الى الجنه ، فاستقبلتني جاريه ، فقلت لمن انت يا جاريه ؟

قالت : لزيد بن حارثه ..

وإذا بأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذه للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

وإذا رمانها كالدلاء عظما ، وإذا انا بطيرها كأنها بختكم هذه .. (فقال عندها) إن الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

قال : ثم عرضت علي النار ، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ، لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها .. ثم أغلقت دوني ..

ثم إني رفعت الى سدرة المنتهى ، فتغشاني ، فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى ..

قال : ونزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة ..

قال : وفرضت علي خمسون صلاة ، وقال : لك بكل حسنة عشر ، فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة ، فإذا عملتها كتبت لك عشرا ، وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء .. فإذا عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ....

(٥)

رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال عبد الله بن مسعود :

- لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنتهى الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، واليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها ، واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها حتى يقبض

ويقول تعالى : ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾

قال غشيها فراش من ذهب ، وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، وخواتم سورة البقرة ، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا المقحمات (يعني الكبائر) .. رواه مسلم في صحيحه ..(١)

(١) ابن كثير جـ٢ صـ١٦

(٦)

روايه أبي هريرة عن رسول الله (صلعم)

(.... قال : ثم صعد به الى السماء السابعه ، فاستفتح فقيل من هذا ؟
قال جبريل ، قال ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : أوقد أرسل اليه ؟ قال : نعم ،
قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفه ، فنعم الأخ ونعم الخليفه ، ونعم المجيء جاء .
قال : فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنه على كرسى ، وعنده قوم
جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شىء .. فقام هؤلاء الذين
فى ألوانهم شىء ، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه ، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ،
ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ، ثم دخلوا
نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم ، فصارت مثل ألوان أصحابهم ،
فجلسوا الى أصحابهم ..

فقال : يا جبريل ، من هذه الأشمط ، ثم من هؤلاء البيض الوجوه ، ومن
هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء ؟ وما هذه الأنهار التى دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت
ألوانهم ؟
قال : هذا أبوك ابراهيم أول من شمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه
فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء ، فقوم خلطوا
عملا صالحا وآخر سيئا ، فتابوا فتاب الله عليهم .. وأما الأنهار ، فأولها رحمه الله ،
والثانى نعمه الله ، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا ..

قال : ثم انتهى الى السدرة ، فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل احد خلا
من أمتك على سنتك ، فإذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن
وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل
مصفى .. وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها .. والورقة
منها تغطى الامة كلها ..

فغشيها نور الخلاق عز وجل ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين وقع على الشجرة من حب الرب تبارك وتعالى ..

قالوا : فكلمه الله عند ذلك ، فقال له سل :

فقال : أنك أتخذت ابراهيم خليلا ، واعطيته ملكا عظيما ، وكلمت موسى تكليما ، واعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال ، واعطيت سليمان ملكا وسخرت له الجن والانس والشياطين ، وسخرت له الرياح ، وأعطيت له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراه والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ، ويحيى الموتى باذنك ، واعذته وأمه من الشيطان الرجيم ، فلم يكن للشيطان عليه سبيلا ..

فقال له الرب - عز وجل - وقد أتخذتك خليلا - وهو مكتوب في التوراه حبيب الرحمن - وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك ، ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معى ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الاولين وهم الآخرين ، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى .. وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم ، وجعلتك أول النبيين وآخرهم بعثا ، وأولهم يقضى له ..

وأعطيتك سبعا من المثانى لم يعطها نبى قبلك ، وأعطيتك خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك ، واعطيتك الكوثر ، واعطيتك ثمانية أسهم : الاسلام ، والهجرة ، والجهاد ، والصلاة ، والصدقه ، وصوم رمضان ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعلتك فاتحا خاتما ..

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - فضلنى ربى بست : أعطانى فواتح الكلام وخواتيمه ، وجوامع الحديث ، وأرسلنى الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وقذف فى قلوب اعدائى الرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا .. (١)

(١) - ابن كثير جـ٢ صـ١٩ وقال حديث مطول جدا وفيه غرابه

ويقول ابن كثير .. (١)

والحق أنه عليه الصلاة والسلام أسرى به في يقظة لامناما ، من مكة الى بيت المقدس، راكبا البراق ، فلما انتهى الى باب المسجد ، ربط الدابة عند الباب ، ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ..

ثم أتى بالمعراج ، وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها ، فصعد فيه الى السماء الدنيا ، ثم الى بقية السماوات السبع ، فتلقاه من كل سماء مقربوها ، وسلم على الانبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم .. حتى مرّ بموسى الكليم في السادسة ، وإبراهيم الخليل في السابعة ،

ثم جاوز منزلتيهما صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهى الى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام .. اى أقلام القدر بما هو كائن .. ورأى سدرة المنتهى ، وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب ، وألوان متعددة ، وغشيتها الملائكة ...

ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ، ورأى رفرفا أخضر قد سد الافق ، ورأى البيت المعمور ، وابراهيم الخليل بانى الكعبة الأرضية ، مسند ظهره اليه لأنه الكعبة السماوية ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه ثم لايعودون اليه الى يوم القيامة ..

ورأى الجنة والنار ، وفرض عليه هناك الصلوات الخمسين ثم خففها الى خمس رحمة منه ولطفا بعباده .. وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها..

---

(١) ابن كثير جـ٢ صـ٤٢

الفصل الثالث

﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾[1]

قال تعالى :

﴿ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . ﴾[2]

إن الخالق - سبحانه وتعالى - يقسم بما يشاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق .. ﴿ والنجم إذا هوى ﴾

وقال ابن عباس وغيره : يقسم تعالى : بالنجم الثريا إذا سقط مع الفجر ..

وقال الضحاك : أي إذا رمى به الشياطين ..

وروى الأعمش عن مجاهد : يعني القرآن إذا نزل

ويقول ابن كثير : أن هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . أنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين . ﴾[3]

وقال الحسن : المراد في الآية .. النجوم إذا انتثرت يوم القيامة ، كقوله تعالى : ﴿ إذا النجوم انتثرت . ﴾[4]

---

(١) النجم : ١٨ (٢) النجم : ١-١٨ (٣) تفسير ابن كثير جـ٤ صـ٢٤٩ (٤) صفوة التفاسير جـ٣ صـ٢٧٤

ويقول تعالى : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾.

هذا هو القسم ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنه راشد تابع للحق ليس بضال : وهو الجاهل الذى يسلك على غير طريقه بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصدا الى غيره .. فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهى علم الشئ وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلوات الله وسلامه عليه ، وما بعثه الله به من الشرع العظيم ، فى غاية الاستقامة والاعتدال والسداد (١)

قال ابو السعود : والخطاب لكفار قريش ، والتعبير بلفظ ﴿ صاحبكم ﴾ للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله ، فإن طول صحبتهم له ، ومشاهدتهم لمحاسن أوصافه العظيمة تقتضيه ذلك .. (٢)

﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾

اى لا يتكلم عن هوى نفسى ، ورأى شخصى ..

بل يتكلم عن وحى من الله عز وجل .. ولذلك قال ﴿ ان هو إلا وحى يوحى ﴾

وقال البيضاوى : اى ما القرآن إلا وحى يوحيه الله اليه ... (٣)

" إنما يقول ما أمر به يبلغه الى الناس كاملا موفورا من غير زيادة ولا نقصان ،

ويروى الامام أحمد عن ... أبى امامه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

﴿ ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر ﴾ .. فقال رجل : يا رسول الله أوما ربيعة من مضر؟ قال : ﴿ إنما أقول ما أقول .. (٤)

(١) ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٤٨ (٢) تفسير أبى السعود / ٥ (٣) تفسير البيضاوى ٤ / ١٧١

(٤) ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٤٨

- ﴿علمه شديد القوى﴾
أى علمه القرآن ملك شديد قواه وهو جبريل الامين:
قال المفسرون: مما يدل على شدة قوته، أنه قلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها، وصاح بثمود فأصبحوا خامدين، وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أو صعوده فى أسرع من رجعه الطرف.(١)

- ﴿ذو مرّةٍ فاستوى﴾
ذو منظر حسن، وقوة شديدة
وقد ورد فى الحديث الصحيح عن روايه أبن عمر وأبي هريرة، أن النبى صلى الله عليه وسلم.. قال: ﴿لا تحل الصدقة لغنىّ ولا لذى مرّةٍ سوىّ.﴾

﴿فاستوى. وهو بالافق الاعلى.﴾
يعنى جبريل استوى فى الافق الاعلى وهو الذى يأتى منه الصبح..
وعن أبن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم ير جبريل فى صورته الا مرتين، أما واحدة فإنه سأله ان يراه فى صورته فسد الافق، وأما الثانية فإنه كان معه حين صعد الى السماوات..
فالرؤية الاولى لجبريل لم تكن فى ليلة الاسراء، بل قبلها ورسول الله فى الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى اليه فاقترب منه وهو على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح.. وكانت هذه الرؤية فى أوائل البعثة بعدما جاء جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله اليه صدر سورة (أقرأ)، ثم فتر الوحى فترة، ذهب النبى صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء.. يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، وكلما طال عليه الامر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل، ورسول الله فى الابطح فى

(١) صفوة التفاسير: جـ٣ صـ٢٧٢

صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائة جناح ، فسد عظم خلقه الافق ، فاقترب منه الوحى ، وأوحى اليه من الله عز وجل ما أمره به ، فعرف عند ذلك عظمة الملك الذى جاءه بالرسالة وجلالة قدره ، وعلو مكانته عند خالقه الذى بعثه اليه

ثم رآه نزله أخرى عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء والمعراج .. (١)

وقال الخازن : كان جبريل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين ، كما كان يأتى الانبياء قبله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها ، فأراه نفسه مرتين ، مرة فى الأرض ، ومرة فى السماء .. فأما التى فى الأرض ، فبالأفق الاعلى اى جانب المشرق ، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء ، فطلع عليه جبريل من ناحية المشرق ، وفتح جناحيه ، فسد ما بين المشرق والمغرب ، فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه ، فنزل جبريل فى صورة الآدميين ، فضمه الى نفسه ، وأخذ يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ﴿ثم دنا فتدلى﴾ ..

وأما التى فى السماء فعند سدرة المنتهى .. ولم يره أحد من الانبياء على صورته الملكية التى خُلقه عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .. (٢)

﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾

اى فكان منه على مقدار قوسين أو أقل ..

قال الالوسى : والمراد افادة شدة القرب ، فكأنه قال : فكان قريبا منه .. (٣)

﴿فأوحى الى عبده ما أوحى﴾

فأوحى جبريل الى عبد الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ما أوحى ، أو فأوحى الله الى عبده محمد - صلى الله عليه وسلم - ما أوحى بواسطة جبريل .

---

(١) ابن كثير جـ٤ صـ٢٤٩ (٢) تفسير الخازن ٤ / ٢١٢ (٣) تفسير الالوسى ٧ / ٤٨

وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى : ﴿ فأوحى الى عبده ما أوحى ﴾
قال : أوحى الله اليه : ﴿ ألم يجدك يتيما — ورفعنا لك ذكرك . ﴾

- ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾
اى ما كذب قلب محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل الحقيقيه ..
قال ابن مسعود : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منهم قد سد الافق ، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ...(١)

- ﴿ أفتمارونه على ما يرى . ﴾
أى أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما رآى ليله الاسراء والمعراج ..
قال فى البحر : كانت قريش حين اخبرهم صلى الله عليه وسلم بأمره فى الاسراء ، كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم صلى الله عليه وسلم بيت المقدس

- ﴿ لقد رآه نزلة اخرى . عند سدرة المنتهى . ﴾
اى رأى الرسول جبريل فى صورته الملكيه مرة أخرى ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾
اى عند سدرة المنتهى التى هى فى السماء السابعه قرب العرش .
قال المفسرون : والسدرة .. شجرة النبق ، تنبع من اصلها الانهار ، وهى عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهى اليها علم الخلائق وجميع الملائكه ، ولا يعلم احد ما وراءها الا الله جل وعلا .. (٢)
﴿ عندها جنة المأوى ﴾ .. اى عند سدرة المنتهى الجنه التى تأوى اليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ..

---

(١) أخرجه الحاكم احمد . جاء فى صفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٢ (٢) صفوة التفاسير ج٣ ص٢٧٢

- ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ ...

أي رآه وقت ما يغشى السدرة ما يغشى من العجائب ..

قال الحسن : غشيها نور رب العالمين .. فاستنارت ..

وقال ابن مسعود : غشيها فراش من ذهب .. (١) وفي الحديث (لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها)

قال المفسرون : رأى عليه الصلاة والسلام ، سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار الله عز وجل ، حتى لا يستطيع أحد أن ينظر إليها ، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور يعبدون الله عندها ، يجتمعون عندها مسبحين وزائرين كما يزور الناس الكعبة .. وفي الحديث .. (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى) (٢)

- ﴿ ما زاغ البصر وما طغى ﴾.

أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة يميناً وشمالاً ، وما جاوز الحد الذي رأى ..

قال القرطبي : أي لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات ، وهذا وصف أدب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام ، إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً (٣)

وقال الخازن : لما تجلى رب العزة وظهر نوره ، ثبت صلى الله عليه وسلم ، في ذلك المقام العظيم ، الذي تحار فيه العقول ، وتزل فيه الأقدام ، وتميل فيه الأبصار .. (٤)

(١) الحديث رواه مسلم (٢) تفسير أبي السعود ١٧٥/٥ (٣) تفسير القرطبي ١٧ /٩٨

(٤) تفسير الخازن ٤ /١٦٢

- ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.

فلقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج - عجائب ملكوت الله تعالى، رأى سدرة المنتهى، والبيت المعمور، والجنة والنار، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السماوات له ستمائة جناح، ورأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الأفق(١) وغير ذلك من الآيات العظام..

قال الفخر: وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج آيات الله تعالى ولم ير الله كما قال البعض، ووجه ان الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات، وقال في الإسراء ﴿لنريه من آياتنا﴾ ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن والأخبر تعالى به.(٢)

(١) رؤيته صلى الله عليه وسلم للرفرف الأخضر الذي سد الأفق اخرجه البخاري عن ابن مسعود.

(٢) التفسير الكبير ٧ / ٧٤٠

الفصل الرابع

صلاة جبريل بالنبي (صلعم) (١)

وفي غداة اليوم التالي لليلة الإسراء والمعراج ، جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه كيفية الصلاة ، ويبين له أوقاتها ..

فما ان زالت الشمس حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنودي بأصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل عند البيت : النبي يقتدي بجبريل ، والمسلمون يقتدون بالنبي من ظهر هذا اليوم الى فجر اليوم التالي ..

وفي صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

((نزل جبريل فأمني ، فصليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ... يحسب بأصابعه خمس صلوات ..))

وقيل : ان جبريل عليه السلام صلى بالنبي صلى الله عليه وسلم يومين متتاليين ، ليبين له الوقتين الاول والآخر لكل صلاة ..

فقد روى عن ابن عباس وجابر .. ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((أمني جبريل عند البيت مرتين .))

ومن هذه الليلة فرضت الصلاة فرضا لازما على كل مسلم ومسلمة ..

* * * *

وقد يسأل البعض عن الحكمة في فرض الصلاة ليلة الاسراء والمعراج ..؟؟

وقد أجاب بعض العلماء بأن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما عرج به الى السماء رآها تموج بأصناف الملائكة الكرام الذين لا يحصيهم إلا الله سبحانه ((وما يعلم جنود ربك إلا هو .)) ورأى من عباداتهم أمرا عجيبا .. فمنهم القائم فلا يقعد ، والراكع فلا يسجد ، والساجد فلا يرفع رأسه ..

---

(١) - من مقالة الدكتور الشيخ محمد سليمان فرج في مجلة منار الاسلام عدد نوفمبر ١٩٩٥

فجمع الله له ولأمته تلك العبادات كلها في كل ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص والخشوع ، وهذا شئ وإن كان سبق به القضاء الأزلى إلا أن الله سبحانه أظهره بعد وجود ما يقتضيه

وفي إختصاص فرض الصلاة بهذه الليلة ، وكونها من غير واسطة ، بل بكلام الله من وراء حجاب .. تشريف لها وبيان لعظم مكانتها في الإسلام ..

☆ ☆ ☆ ☆

وقد يتساءل البعض عن وجود الانبياء الذين لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم في السماوات مع أن اجسادهم - غير عيسى عليه الصلاة والسلام - في الأرض ؟
وقد أجاب عن هذا العلماء .. بأن أرواح الانبياء في اعلى عليين ، فيمكن أن تكون أرواحهم تشكلت بصورة أجسادهم ، تشريفا وتكريما للقاء الكريم ، ويجوز أن يكونوا أتوا من قبورهم ، وحلت أرواحهم في مستقرها من السماء ، وتلك قدرة الله سبحانه وتعالى .. وذلك ليتم أجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ، وصلاته بهم ، وثنائهم على ربهم ..

وقد ذكر إبن القيم عن وجود الأرتباط القوي بين أرواح النبيين وأجسادهم ، وأنهم بهذا الأرتباط ، تكون منهم بعض التصرفات التى لا تكون إلا من الاحياء ، ولله في ملكه وملكوته ما لا يحيط به إلا هو من آيات وعجائب ..

وقد يتساءل البعض : ما السر في وجود الانبياء الذين ذكرتهم الروايات في السماوات وعلى هذا الترتيب ؟ ولم أقتصر على هؤلاء دون غيرهم ؟ ؟
وقد اجاب عن هذا الامام السهيلي .. فقال :

الحكمة فى الاقتصار على هؤلاء المذكورين من الانبياء فى الحديث ، والاشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه ، نظير ما وقع لكل منهم ..

أما آدم .. فوقع التنبيه ، بما وقع له من الخروج من الجنه الى الأرض ، بما سيقع للنبى صلى الله عليه وسلم ، من الهجرة الى المدينه ..
والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقه ، وكراهية فراق ما ألفه من الوطن، ثم كان مآل كل منهما أن يرجع الى وطنه الذى أخرج منه مكرما معززا ..

وأما عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام ، فالتنبيه على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغى عليه ، وأرادتهم وصول السوء اليه بل وهمهم بقتله ، فكانت النتيجه أن أنجاه الله من مكرهم ، ونصره عليهم ، ورد كيدهم فى نحورهم ، كما أنجى عيسى عليه السلام من قبل منهم ، حينما عزموا على قتله ، فرفعه الله اليه ، وطهره من رجسهم ..

وأما يوسف عليه الصلاة والسلام ، فقد نبه بما وقع له من أخوته ، وكيدهم له .. على ما وقع للنبى من قريش فى عداوتهم له ، وأرادتهم أهلاكه ، وتفننهم فى الكيد له ، من غير أن يكون لذلك داع ، إلا ان الله عصمه بفضل منه ورحمة ، وكانت العاقبه لنبينا كما كانت ليوسف عليهما الصلاة والسلام ..
وقد أشار النبى الى ذلك يوم الفتح ، وضرب به مثلا عاليا فى العفو ، حيث قال : أقول كما قال أخى يوسف .. ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾[1]

(١) يوسف : ٩٢ .

أما أدريس عليه السلام ، فقد نبه بوجوده في سمائه على رفع منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند ربه ، وعلو شأنه ، وأن دينه سيعلو ثم يعلو حتى يظهر على الأديان كلها ، كما رفع الله نبيه أدريس من قبل مكانا عليا .. قال سبحانه وتعالى :

﴿ وأذكر في الكتاب أدريس إنه كان صديقا نبيا . ورفعناه مكانا عليا . ﴾

وأما هارون عليه الصلاة والسلام ، فقد نبه في وجودة في سمائه ، على أن قومه رجعوا الى محبته ، بعد أن آذوه ونالوا منه ، وأصبح أثيرا عند بني اسرائيل ، وكذلك أنت يا محمد - صلى الله عليه وسلم - سيحبك قومك بعد أن قلوك ، ويؤيدونك بعد أن عادوك ..

وأما موسى عليه الصلاة والسلام ، فقد نبه على ما وقع له من معالجة قومه أشد المعالجة كي يهتدوا ، وإيذائهم له ، وصبره على ذلك أعظم .. كذلك أنت يا محمد - صلى الله عليه وسلم - ستجد في سبيل هداية قومك عنتا ومشقة ، وسيقذفونك من صنوف البلاء الوانا ، وسيلحقون بك من المثالب والمعايب ما أنت برئ منه ، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ﴾

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها . ﴾ ..

وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد نبه في وجوده في آخر السماوات ، واستناده الى البيت المعمور ، بما ختم له في آخر عمره من النصر ودخول مكة فاتحا منتصرا مع المبالغة في تعظيم البيت ، ورعاية حرمته ، وما أتم الله به عليه نعمته من إكمال الدين ، وإقامة مناسك الحج ، وحجهم البيت الحرام لا يشاركهم فيه أحد من المشركين ..

وصدق الله حيث يقول مخاطبا المسلمين في حجة الوداع :
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا . ﴾[1]

وقد يسأل آخر : لم أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء ، ولم يعرج به من مكة مباشرة ؟؟ ..
وقد أجاب عن هذا الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة[2] .. فقال :
إن الحكمة في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس قبل العروج به الى السماء .. هو إقامة الحجة على المشركين والمتشككين ، لأنه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمراغمة الكفار والضعفاء سبيلا الى الزامهم بالحجة ، إذ لا علم لهم بالعالم العلوي حتى يسألوا عنه فيجيبهم بما يقيم عليهم الحجة ، بخلاف ما وقع بالفعل ، فإنه لما ذكر أنه أسرى به الى بيت المقدس ، سألوه أن يصف لهم بيت المقدس وكانوا يعرفونه في تجارتهم وأسفارهم .. ويعلمون أيضا ان النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن رآه من قبل ، فلما اخبرهم بأوصافه ، كان ذلك اكبر آية على صدقه فيما ذكر من الإسراء الى بيت المقدس في ليله ورجوعه عنه ..
وإذا تحققوا صدقه في الإسراء لزمهم تصديقه في بقية ما ذكره من المعراج ، ليؤمن من آمن عن بينة ، ويكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه ..
وأيضا ان بيت المقدس مهاجر الأنبياء وأول القبلتين ، وثاني المسجدين المشرفين ، فأراد الله أن يشرف نبيه الصلاة في البقعتين المباركتين ، وان يحوز الفضيلتين ...

(١) المائدة : ٣ (٢) في كتابه بهجة النفوس .

الفصل الخامس
الكتاب المسطور والكتاب المنظور

لم يتركنا الله - سبحانه وتعالى - حيارى في بيداء حياتنا الدنيا ، ولكن تجلى لنا في كتابين خالدين :

كتاب نقرؤه ونرتل آياته هو الكتاب المسطور أو (القرآن الكريم) ..

فقد أرسل الله - سبحانه وتعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم للناس كافة ، وناداهم قائلا :

﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من أتبع رضوانه سُبُل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم . ﴾(١)

ويخبر الله تعالى ، انه قد جاءكم نور وهو القرآن ، لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك وهو كتاب مبين ظاهر الاعجاز ، يهدي به من أتبع رضا الله طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ، فيخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان بتوفيقه وأرادته .(٢)

وكتاب نعيش فيه ، ونلمس آياته وهو الكتاب المنظور أو الكون ...

وكان من الطبيعي أن يستمد الكتاب المسطور كثيرا من آياته وحكمه من الكتاب المنظور ... وعلى هذا النحو تحدث القرآن الكريم عن السماء ، والهواء ، والماء والأحياء ... الخ .. فقال تعالى :

﴿ إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ﴾(٣)

(١) المائدة : ١٥-١٦ (٢) صفوة التفاسير ج ١ ص ٣٢٤ (٣) الجاثية : ٢-٦

يرشد تعالى خلقه الى التفكير في آلائه ، ونعمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السماوات والأرض ، وما فيها من المخلوقات المختلفة الاجناس والانواع من الملائكة والجن والانس والدواب .. الى غير ذلك من المخلوقات ، كذلك اختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ..

كذلك ما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة اليه وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق . ﴿ فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ . بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شئ ..

﴿ وتصريف الرياح ﴾ اى جنوبا وشمالا ، ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ، ومنها ما هو عقيم لا ينتج ..

وقال تعالى ﴿ لآيات للمؤمنين ﴾ ثم ﴿ يوقنون ﴾ ثم ﴿ يعقلون ﴾ . وهو ترقى من حال شريف الى ما هو أشرف منه وأعلى .(١)

وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهى قوله تعالى :

﴿ ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون .﴾

وقال الصاوى :

ذكر الله سبحانه وتعالى من الدلائل ستة فى ثلاث آيات ، ختم الاولى ب ﴿ للمؤمنين ﴾ والثانية ب ﴿ يوقنون ﴾ والثالثة ب ﴿ يعقلون ﴾ ووجه التغاير بينها فى التعبير ، ان الانسان إذا تأمل فى السماوات والأرض ، وانه لابد لها من صانع آمن ، وإذا نظر فى خلق نفسه ازداد ايمانا فأيقن ، وإذا نظر فى سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه .(٢)

* * * *

(١) ابن كثير جـ٤ ص١٥٢ (٢) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/ ٦٢

إن القرآن الكريم هضم كافة مفاهيم البشر العلمية السليمة منذ نزل، وهذه صفة من صفات المعجزة الخالدة التي لا يقف إعجازها عند عصر معين، ولا يحد بثقافة بالذات، وسوف تلازم هذه الصفة القرآن الكريم الى يوم الدين، بوصفه المعجزة الخالدة ..

ويقول تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .﴾[1]

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي (٣) :

ومعنى ﴿ سنريهم ﴾ أي سيرون رؤية عين ورؤية يقين ..

﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق .﴾

إن الذين سيرون غير المؤمنين، وإلا لو كانوا مؤمنين لعرفوا أنه الحق، ولما احتاجوا الى هذا الدليل المادي ..

ولذلك فإن عددا من غير المؤمنين سيكشف الله عن آياته في الكون، فلا يستطيعون أن ينكروا أنه من عند الله، ولا يستطيعون أن يتكبروا ويقولوا انه هذا من عند أي بشر، ولا يستطيعون أن يدعوا أنه المصادفة، ولا يكلفهم إلا أن يعترفوا ولكنهم لا يؤمنون .

* * * *

ويقول تعالى :

﴿ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون .﴾[2]

أي وشيدنا السماء وأحكمنا خلقها بقوة وقدرة ..(٤)

وقال ابن عباس : أي لقادرون (٥)

وقال مزيد من العلماء : إن (موسعون) إشارة الى الثراء والغنى، بمعنى أنه رغم ما أودعناه في الكون من مواد فإن لدينا مزيد ..

(١) فصلت : ٥٣ (٣) في كتابه الأدلة المادية على وجود الله - وزارة التربية والتعليم ١٩٩١ الشيخ محمد متولي الشعراوي

(٢) الذاريات : ٤٧ (٤) صفوة التفاسير جـ٢ صـ٢٥٧ (٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

وقال الدكتور محمد جمال الدين الفندى (١)

إن (موسعون) اشارة الى اتساع آفاق الكون أمامنا يتقدم عمليات الرصد وتطورها بمضى الوقت .. وهذا عين ماحدث ..

فعندما نزل القرآن الكريم كان الناس يعتبرون الأرض مركزا للمجموعة الشمسيه، وكانوا يعرفون من هذه المجموعة خمسه كواكب فقط هى عطارد، والزهرة، والمريخ والمشترى ثم زحل ..

وفى عصر العلم تم اكتشاف أربعه كواكب اخرى هى على التوالى : أورانوس، ونبتون، وبلوتو، ثم كوكب رابع ..

وباكتشاف بلوتو، بلغ قطر المجموعة الشمسيه نحو خمس ساعات ضوئيه، علما بأن الساعه الضوئيه هى المسافه التى يقطعها الضوء فى ساعة كاملة بسرعته البالغه ٣٠٠ ألف كيلو متر فى الثانيه !

ثم قيست ابعاد مجرتنا المعروفه باسم الطريق اللبنى أو طريق التبانه، فوجد ان قطرها ١٠٠ ألف سنه ضوئيه ..

ثم تم قياس بعد أقرب المجرات فى السماء الى الطريق اللبنى وهى (سديم المرأه المسلسلة) فوجد أنها تبعد عنا بمقدار ٧٥٠ ألف سنه ضوئيه ..

ثم امكن التعرف على مجرات فى اعماق الفضاء باستخدام أحدث المناظير الفلكيه فوجد أنها تبعد عنا بأكثر من عشرة آلاف مليون سنه ضوئيه !! وأنها لفرط بعدها عنا تبدو الواحدة منها كنقطه مضيئه فى السماء، رغم ان الواحدة منها تضم ملايين النجوم .. ويقول تعالى :

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم .﴾(٢)

(١) فى كتابه مع القرآن فى الكون (٢) الواقعه : ٧٥-٧٦

ولقد دلت أرصاد المجرات أخيرا على أنها تتباعد بسرعات متزايدة ، لذلك فإن الكون يتمدد وتتسع السماء .. وهذا المعنى الجديد أيضا دلت عليه معادلات النسبية الرياضية

وعلى هذا النحو يتضح أن قوله تعالى ﴿لموسعون﴾ أخذت عدة معان سليمة علميا ، تطورت بتطور معرفة البشر واتساع آفاق المعرفة ، وبذلك هضمت كافة المعلومات السليمة المتصلة بموضوع تفسيرها ..

الفصل السادس

~~قضايا العصر في ضوء الإسلام~~

الإسلام والعلم

أجمع العلماء في شبه رأي موحد، على أن العلم لا يستطيع أن يقوم بمهمة تفسير ظواهر الأشياء وتعليلها، ولكنه يقتصر على وصفها وتقريرها..

فمهمة العلم قاصرة حتى الآن على وصف ظواهر الأشياء..

وقد كان العلم في أذهان الأوائل، إنما يراد به تفسير الوجود.. وكان العلماء في أول النهضة يهتمون بمعرفة (لماذا)، ولكنهم أخذوا يتخلون عن هذا الاهتمام بعد أن تبين لهم عبث هذه المحاولات وعقم نتائجها..

فقد ترك العلم للفلسفة مهمة بحث العلل الذاتية للوجود، بعد أن عجز في هذا المضمار، ولم يسفر بحثه عن شئ..

والعلم لا يفسر شيئا، وإنما يربط وينسق ويلاحظ ملاحظة منهجية، وبالتالي يصنف ويقرر، وليس هذا فهما للأشياء، ولكنه تعرف عليها..

ويقرر العلماء .. إن المعرفة العلمية تقتصر على ظواهر الطبيعة وأعمال البشر، وعلاقتهم التي يمكن استخدام المشاهدة والتجربة لاكتشاف قوانينها..

والعلم يعترف بأن العقل البشري لا يستطيع أن يدرك شيئا إلا عن طريق الحواس..

لذلك فكل ما يقع وراء الحس أو العقل، لا يمكن للعلم أن يبحث فيه أو يعرف عنه شيئا..

وليست حقائق العلم مطلقة وأبدية، بل هي تقرر الحقيقة النسبية..

والبحث العلمي صراع لا ينتهي بين الإنسان والطبيعة.. فكلما ازداد الإنسان معرفة بقوانين الطبيعة، ازدادت سيطرته عليها..

(٨) قضايا العصر في ضوء الإسلام. م. أنور الجندي

وما زال العلماء يتساءلون : هل يستطيع العقل أن يدرك الطبيعة ..

ان العلم حتى الآن رغم تقدمه في ميادين مختلفة ، قد عجز عن حل المشاكل الكبرى المتمثلة في أصل الكون ، وزمانيته ، وطبيعة المادة ، ونشأة الحياة ، وخلود الروح ....

يقول (مارتن ستانلى كونجدن) :
إن نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات وتنتهى بالاحتمالات ، وليس باليقين ، ونتائج العلوم بذلك تقريبية عرضة للأخطاء فى القياس والمقارنات ، ونتائجها أجزائيه وقابلة للتعديل ، بالإضافة والحذف وليست نهائية ..
وقد اضطر العلم منذ أجيال أن يترك البحث فى كنه الأشياء بعد أن تبين له أنه لا سبيل الى معرفة الكنه المغيب عن الحواس ، وأكتفى بدراسة ظواهرها .
ولا شك أن أتخاذ المادية الصرفة أساسا للعلم ، وأنفصاله عن عالم الغيب قد كشف عن عجز العلم عن فهم كنه الأشياء ...(١)

ويقول (رسل تشالمزار نست) :
" إن كل الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية قد باءت بالفشل وخذلان ذريعين ، ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة يمكن ان يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية ..." (٢)
غير أن أنفلاق الذرة قد خلق عصرا جديدا فى العلوم لا شك انه مؤشر واضح الى أتجاه جديد ...

(١) قضايا العصر فى ضوء الاسلام . أ. أنور الجندى (٢) نفس المصدر السابق

ويقول العلامة (هايدين) فى كتابه (المادية) :

باتت النظرية المادية بالنظرية القائلة بأن الذرات مركبة من الكهرباء وبروتونات موجبة والكترونات سالبة .. وطغت عليها نظرية (الكوانتوم) التى تقول إن الكهربائية تجئ شحنات من المجهول وتذهب الى المجهول ، ومن هنا لم يستطع المذهب المادى الاجابة على هذا السؤال ؟

قال هايدين معلقاً : إن الحقيقة التى ظفر الانسان يبحث عنها دهورا عديدة ، هى روحانية فى وجودها ، والروح لا يدركها العقل ...

وثمة آخر واجه (العلم) : هو غلبة تيار التكنيك - والتكنيك هو المنطق الآلى للعلوم - فى ان يصبح سيدا العلم وسيد العقل البشرى ، ويكون الانسان عبده الخاضع له بدلا من أن يكون سيده المسيطر عليه ..

ويقول الباحثون : ان العلم قد انحرف عن سبيله ، فقد أصبح سيد الانسان بعد أن كان الانسان صانعه وخالقه ، فكما أن جسم الانسان يفقد خصائصه كانسان حى إذا فقد الحياة النابعة من عقله وقلبه ، كذلك التكنيك يفقد خصائصه المنتجة إذا أضحى هو سيد العلم بدلا من ان يكون العلم سيده .(١)

* * * *

ونسمع اليوم أصوات العلماء تتعالى بما يدحض النظرية المادية ، فيكشفون حقائق جديدة ، ويعلنون أن قوانين (الديناميكا الحرارية) قد أخذت تدلهم على ان لهذا الكون بداية ، وانه اذا كان للكون بداية فلابد له من مبدئ من صفاته العقل والارادة اللانهائية ..

ويقولون : أن هذا الخالق لابد أن يكون من طبيعة تخالف طبيعة المادة التى تتكون من ذرات تتآلف بدورها فى شحنات أو طاقات لا يمكن بحكم العلم ان تكون أبدية أو أزلية ..(٢)

(١) قضايا العصر فى ضوء الاسلام ٢٠ . أنور الجندى . (٢) راجع كتاب (الله يتجلى فى عصر العلم)

وعلى ذلك فلابد أن يكون هذا الخالق غير مادى وغير كثيف ، ولابد أن يكون لطيفاً متناهياً فى اللطف ، خبيراً لانهاية لخبرته ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار . . .

ويقول هؤلاء العلماء :

فإذا كنا نريد أن نصل إليه (أى الى الله) فسبيلنا الى ذلك لا يكون بحواسنا التى لا تستطيع أن ترى إلا الماديات الكثيفه ، وإذا كنا نريد أن نلمس وجوده ، فإن ذلك لا يمكن أن يتم داخل المعامل أو انابيب الاختبار ، أو باستعمال المناظير المقربة أو المكبرة ، وإنما باستخدام العنصر غير المادى فينا ، كالعقل والبصيرة . . .

* * * *

إن فروع العلم كافة تثبت أن هناك نظاما معجزا يسود هذا الكون ، أساسه القوانين والسنن الكونيه الثابته التى لا تتغير ولا تتبدل . . والتى يعمل العلماء جاهدين على كشفها والاحاطة بها . .

وقد بلغت كشوفنا من الدقه قدرا يمكننا من التنبؤ بالكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر قبل وقوعها بعشرات السنين .

والسؤال هو : من الذى وضع هذا النظام وسن هذه القوانين ، وأقام هذه السنن الكونيه التى لا تتغير ولا تتبدل . .؟

ويوجه العلماء هذا السؤال ويجيبون عليه !

هل نشأ الكون مصادفة ؟؟

إن العلماء يشرحون معنى المصادفه ، ويشيرون الى استخدام الرياضه وقوانين المصادفة لمعرفه مدى احتمال حدوث ظاهره من الظواهر . . .

لقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التى تكون مثل جزئ واحد من الاحماض الامينيه (وهى المادة الاوليه التى تدخل فى بناء البروتينات واللحوم) فوجدوا أن ذلك يحتاج الى بلايين من السنين والى مادة لا يتسع لها هذا الكون المترامى الاطراف هذا التركيب (جزئ واحد) على هذه الصورة . .

فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان ، وما بالك بما لا يحصى من المركبات المعقدة الأخرى ، وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السماوات والأرض وكانت الاجابه هى :

أنه يستحيل عقلا أن يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء أو الخبطة العشواء .. لابد لكل ذلك من خالق مبدع عليم خبير ، أحاط بكل شئ علما ، وقدر كل شئ ثم هدى ..

ويقول العلماء : إن الانسان لا يستطيع أن يدرس أعمال اى صانع من الصناع دون أن يحيط بقدر من المعلومات عن الصانع الذى أبدع تلك الاعمال ..

وكذلك نجد أننا كلما تعمقنا فى دراسة هذا الكون وسكانه ، أزددنا معرفة بطبيعة الخالق الاعلى الذى أبدعه ..

ويقول العلماء : إن الأرض والسماوات بسائر تعقيداتها ، والحياة فى شتى صورها ، واخيرا الانسان بكل قدراته العليا .. كل ذلك أشد تعقيدا من أن يتصور الانسان أنه حدث هذا و بمحض الصدفه ، فلابد اذن من عقل مسيطر ومن اله خالق وراء كل ذلك(١)

* * * *

ويؤكد العلماء نظرية الاسلام فى أن المعرفه تتم بواسطه العقل والقلب .

ويقول (روبرت هورتون كاميرون) .. :

ان الانسان يحصل على العلم بطريقتين هما البصر والبصيرة ..

أما البصر .. فهو ما نتعلمه فى حياتنا ، وما نكتسبه عن طريق حواسنا من الخبرة بأمور الحياة ..

وأما البصيرة .. فهى ذلك النور الذى يفرغه الله سبحانه - فى قلوبنا فيكشف لنا ما لا نعلم ..

---

(١) مالكولم دنكان وينشر .

كذلك الحال فيما يتصل بالايمان بوجود الله تعالى ، إذ لابد أن نقوم أولا على البصر وملاحظة ظواهر الحياة : الفكر والانفعالات ، والتمييز الخلقى ، وحرية الارادة .. ثم نلتجئ بعد ذلك الى الله سبحانه لكى يكمل إيماننا ويدعمه ..

ويقول العالم الكيميائى (واين أولت) :

ان الله كما نعرفه ليس (مادة) أو طاقة ، كما أنه ليس محدودا حتى نستطيع أن نخضعه لحكم التجربة والعقل المحدود ، بل على نقيض ذلك ، نجد التصديق بوجود الله يقوم على اساس (الايمان) وهو إيمان يستمد تأييدا علميا من الدلائل غير المباشرة التى تشير الى وجود (سبب أول) أو الى (دافع مستمر) منذ القدم ..

إن الايمان بالله يعد لازما لاكتمال وجود الانسان وتمام فلسفته فى الحياة ، ولاشك أن الاعتقاد بوجود اله خالق لكل الاشياء ، يعطينا تفسيرا بسيطا سليما واضحا فى النشأة والابداع ، والفرض والحكمة ، ويساعدنا على تفسير جميع ما يحدث من الظواهر ..

أما النظريات التى ترمى الى تفسير الكون تفسيرا آليا ، فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ما يحدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى الى محض (المصادفة) ...

ولكن فكرة (وجود الله) أقرب الى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولاشك بل إن ذلك النظام البديع الذى يسود الكون ، يدل دلالة حتمية على وجود (اله) منظم ، وليس على وجود مصادفة عمياء تخبط ..

وعلى ذلك .. فالمشتغل بالعلوم هو أول ما يجب عليه أن يسلم تسليما منطقيا بوجود عقل مبدع لاحدود لعلمه ولالقدرته .. موجود فى كل مكان ، يحيط مخلوقاته برعايته سواء فى ذلك الكون المتسع ، أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون اللانهائى فى تفاصيله الدقيقة ..

* * * *

وهناك ظواهر عديدة لا يمكن تفسيرها أو إدراك معناها إلا إذا سلمنا بوجود الله سبحانه، ومن ذلك مثلا:

" الفراغ اللانهائي " وما يسبح فيه النجوم والكواكب التي لا يحصيها عد ولا حصر ..

ومن ذلك أيضا قابليه المادة للانقسام الى جزئيات اساسيه بالغه الصغر مهما كانت طبيعتها ..

ومن ذلك .. التشابه الذى نشاهده بين جميع الكائنات الحيه التى نعرفها، مع اتصاف كل فرد بل كل نبات بل كل ورقه من أوراق الاشجار، وقطرة من قطرات الماء بصفات تميزها عن غيرها ..

وهناك أيضا .. تلك الهوة العميقه التى تفصل بين الانسان وبين سائر الكائنات الأرضيه الاخرى، وتجعله ممتازا عليها بعقله ومهارته اليدويه ..

وذلك هو الايمان البصير الذى يقوم على العقل والتدبر ...

* * * *

ويقول العلماء التجريبيون القادمون من داخل المعامل وأنابيب الاختبار:

إن الإله الذى نسلم بوجوده لا ينتمى الى عالم الماديات، ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه، وعلى ذلك فمن العبث أن نحاول أثبات وجوده بأستخدام العلوم الطبيعيه، لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقه ..

ولا بد أن نسلم أن هذا الكون المادى الذى يخضع لقيود الزمان والمكان، ليس إلا جزءا يسيرا من الحقيقه الكبرى التى ينطوى عليها هذا الوجود ... (١)

---

(١) - روبرت موريس بوج .

وإذا كان هذا العالم المادى عاجزا عن أن يخلق نفسه أو تحدد القوانين التى يخضع لها ، فلابد أن يكون الخلق قد تم بقدرة كائن غير مادى ...
وعلى ذلك فالنتيجة المنطقية الحتمية التى يفرضها علينا العقل ، لابد أن يكون هذا الخالق عليما حكيما ، قادرا على كل شئ ، حتى يستطيع أن يخلق هذا الكون وينظمه ويدبره ، ولابد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته فى كل مكان ...(١)

هكذا نرى كيف يتطور العلم اليوم فيصل الى الحقائق الاصلية التى جاء بها الاسلام ، ويؤكد ان النظرية المادية لاصلة لها بالعلم ، ولكنها فلسفة أو نظرية وليست حقيقة علمية ..

ويقول (أدوار لوثر كيل) وهو من الباحثين الكيماويين الامعرة .. :
ان العلوم تثبت بكل وضوح ان هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا .. فهناك انتقال حرارى مستمر من الاجسام الحارة الى الاجسام الباردة .. ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية ، بحيث تعود الحرارة فترتد فى الاجسام الباردة الى الاجسام الحارة .
ومعنى ذلك .. ان الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الاجسام ، وينضب فيها معين "الطاقة" ويومئذ لن تكون هناك عمليات كيماوية أو طبيعية ..
ولما كانت الحياه لاتزال قائمة ، ولاتزال العمليات الكيموية أو الطبيعية تسير فى طريقها ، فإننا نستطيع ان نستنتج ان هذا الكون لا يمكن ان يكون (أزليا) وإلا استهلكت طاقته منذ زمن بعيد ، وتوقف كل نشاط فى الوجود ..

---

(١) - جون كليفلاند كوثران .

هكذا توصلت العلوم - دون قصد - الى أن لهذا الكون بدايه ، بذلك تثبت وجود الله - تعالى - لأن ماله بدايه لايمكن أن يكون قد بدأ نفسه ، ولابد له من مبدئ أو محرك أول أو من خالق وهو الإله ..

والواقع أن هذا الكون لايزال فى عمليه انتشار مستمر ، تبدأ من مركز نشأته .. واليوم لابد لمن يؤمنون بنتائج العلوم أن يؤمنوا بفكرة (الخلق) وهى فكرة تستشرق على سنن الطبيعه ، لأن هذه السنن إنما هى ثمرة الخلق .. ولابد لهم أن يسلموا بفكرة (الخالق) الذى وضع قوانين هذا الكون ، لأن هذه القوانين ذاتها مخلوقه ، وليس من المعقول أن يكون هناك خلق دون خالق .. هو (الله) .. وما أن أوجد الله - تعالى - مادة هذا الكون والقوانين التى تخضع لها حتى سخرها جميعا لاستمرار عمليه الخلق عن طريق التطور المادى ...

☆ ☆ ☆ ☆

ويقول .. كرستى موريسون مؤلف كتاب (العلم يدعو للايمان) ..:
ان العلماء لايقدرون أن ينفوا وجود الله ، فكل واحد منهم فى قراره نفسه يشعر بقوة الاحساس أو الفكر أو الذاكرة .. وان الآراء التى تصدر كلها إنما هى نابعه من ذلك الكيان الذى نسميه (الروح) .. وهم جميعا يعلمون ان الالهام لا يأتى من (المادة) وأنه ليس من حق (العلم) أن تكون له الكلمة الاخيرة بشأن وجود الخالق ..
ان كون الانسان فى كل مكان ، ومنذ بدء الخليقة حتى الآن ، قد شعر بحافز يحفزه الى أن يستنجد بمن هو أسمى منه وأقوى وأعظم ، يدل على ان (الدين) فطرى فيه ، ويجب ان يقر العلم بذلك ...

ويتساءل : ماهو الكائن الحى .. هل هو عبارة عن ذرات وجزئيات ؟

ويجيب : نعم . وماذا أيضا : شيئ غير ملموس ، اعلى كثيرا من المادة لدرجة أنه يسيطر على كل شيئ ، ومختلف جدا عن كل ما هو مادى مما صنع منه العالم ، لدرجة أن لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه .. وهو فيما نعلم ليست له قوانين تحكمه : ان روح الانسان هى سيد مصيره ، ولذلك تشعر بصلتها بالمصدر الاعلى لوجودها ، وقد أوجدت للانسان قانونا للأخلاق لا يملكه اى حيوان آخر ولا يحتاج اليه ...

ان الحقيقة التى لا شك فيها هذه الايام ، ان العلم قد تحول من المفاهيم المادية الالحادية ، وأن الفلسفة هى التى تحمل لواء هذه المفاهيم

فلقد وصل العلم الى ان الانسان مركب من بدن ونفس ، ومن جسم وروح : البدن من عالم المادة لأنه يمتاز بالخصائص المعروفة للاجسام ، أما النفس أو الروح فإنها من عالم آخر يختلف فى خصائصه عن المادة ...

* * * *

١) عالم الغيب :

يقول تعالى :

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . ﴾(١)

أى ان الله سبحانه وتعالى حين يريد أن يظهر شيئاً فى الحياة ، فإنما يقول له ﴿ كن ﴾ فيخرج بكلمه ﴿ كن ﴾ من علم الله سبحانه وتعالى الى كون الله فنعرفه .

والخطاب هنا فى قوله تعالى ﴿ يقول له ﴾ لشئ موجود فعلا ..

إذن فكل أحداث الكون ، وكل احداث الدنيا والآخرة موجودة فى علم الله سبحانه وتعالى ، فإذا قال لها ﴿ كن ﴾ خرجت الى علم الناس ..

ولذلك فإن يوم البعث مثلا ، موجود بكل تفاصيله وأحداثه فى علم الله تعالى ، كما ان الجنة والنار أيضا موجودتان مخلوقتان فى علم الله بكل ما فيهما ، فإذا جاء وقتهما أظهرهما الله تعالى ..(٢)

* * * *

ولقد تحول العلم من موقفه عن عالم الغيب أو الميتافيزيقا ...

فقد كان الظن الى عهد قريب أن (المادة) لا تنقسم الى ما لا نهاية ، بل تقف عند حد لا يتجزأ ، هو الذى سموه (الذرة) أو (الجوهر الفرد) ..

ثم اثبت العلماء أخيرا : أن الذرة قابلة للتجزئه .. فبعض الذرات يتفجر من تلقاء ذاته مثل ذرات اليورانيوم والراديوم وغيرها ، واتضح ان الذرة تتحلل الى ثلاثة أجزاء أو أشعه ، وبذلك أنطلقت المادة الذريه وأصبحت طاقه يمكن استخدامها فى أغراض الحرب والسلم .(٢)

(١) - يس : ٨٢ (٢) الأدلة المادية على وجود الله لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى سنة ١٩٩٢

(٢) - الدكتور احمد فؤاد الأهوانى (المذهب المادى فى العصر الحاضر)

يقول الاستاذ احمد حسين : لقد مضى العلم التجريبي في سيره نحو الاصول الاولى للمادة أو الطاقة ، فإذا هي الاشعاع ، والاشعاع أحد عناصر الضوء ، فالضوء هو الاصل ، وهو نقطة الابتداء ...

ولقد اثبت العلم ، ان كل ما كنا نتصوره ضدين متقابلين ليس إلا أمور نسبية بحتة بالقياس الى الانسان : البرودة والحرارة ، اختلاف الالوان ، الاشعة : الحمراء والصفراء والخضراء ..

دل ذلك على أن الامر كله اشعاعات تدرك بالعين الانسانية بعضها ولا تدرك البعض الاخر ، فترى ظلاما مالا يعد في دنيا الطبيعة بظلام ..

فالوجود كله مشتق من الضوء ..

أو كما يقول القرآن الكريم ... ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾

وهكذا يؤدي بنا الطريق الى قيام الطبيعة على جوهر واحد وقوة واحدة .. (١)

* * * *

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز :

إن الغيب الذي تؤمن الاديان بوجوده من وراء الطبيعة ، ليس من جنس هذه المادة المادية المنفعلة ، بل هو شئ ذو قوة فعالة مؤثرة ، وله اسلوب في تصرفاته مباين للطرائق التي تؤثر بها المادة فيما حولها ..

والقوة التي يخضع لها المتدين ، فإنه يفترضها على أنها قوة عاقلة تقصد ما تفعل وتتصرف بمحض أرادتها ومشيئتها ..

وهي ليست قوة منطوية على نفسها ، منعزلة عنه وعن العالم ، بل يرى أن لها اتصالا معنويا به وبالناس ، تسمع نجواهم ، وتعنى بآلامهم وآمالهم ، وتكشف عنهم الضر ...

(١) كتاب (الامة الانسانية) للاستاذ أحمد حسين .

والقوة التي يقدسها المتدين ليست فكرة مجردة، وصورة عقلية محضة، بل هي حقيقة خارجية ليست مادة يقوم عليها الحس، بل هي سر غيبي لا تدركه الابصار..

وهذه القوة الغيبية: قوة عاقلة تتصرف بالارادة، لا بالضرورة كالمغناطيس والكهرباء، والعناية مستمرة بشئون العالم الذى تديره، وان لها تجاوبا نفسيا مع نفوسه...

والمتدين يرى وراء كل حس معنى، ويلتمس تحت كل ظاهرة باطنا، ويضع فى مبدأ كل فعل فاعلا، معتقدا أنه لا يقع فى الكون شئ من دقيقه الحوادث وجليلها إلا والله فيه قضاء وتدبير...

والدين هو الاعتقاد بوجود (ذات غيبية علوية) لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير، للشئون التى تعنى الانسان.. وهو اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية رغبة ورهبة، فى خضوع وتمجيد، وهو الايمان بذات الهية جديرة بالطاعة والعبادة...

ويقول: ان مطلب الألوهية مطلب تواترت عليه الفلسفات والنبوات، وإن دلائله البرهانية ماثلة فى الانفس وفى الآفاق، وإن بواعثه النفسية مركوزة فى العقول والوجدانات..

إنما أختلف الناس فى الاستنباط والاقتناع، فهناك من أستمد ايمانه من مشاهدة الطبيعة وتجارب عالم الروح.. إن آيات الألوهية مبثوثة فى كل مكان، وإن وسائل الناس الى معرفتها مختلفة...(1)

* * * *

(1) الدين.. كتاب بقلم الدكتور محمد عبد الله دراز..

ومن الحوار أن يلتمس الناس مفهوم (الله) سبحانه وتعالى من القرآن الكريم، من خلال نظرة عميقة فى (الله) سبحانه وتعالى فى الاسلام .. طبقا لما يلى:

(١) - الاعتقاد بوجود الواجب لذاته غير المستمد من سواه، ووصفه - جل وعلا - بصفات الكمال كلها نتيجة للنظر فى هذا الكون ..

(٢) - نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق - سبحانه - فالتجسيم منفى عنه لأن المادة تتحول والخالق بعيد عن وصف التحول والتعدد منفى عنه لأنه تركيب، والاله لابد أن يكون واحدا، والأبوة والبنوة بعيدان عن صفاته لأنهما تجزئة وانفصال، والخالق لا يتجزأ ..

(٣) - عدم التعرض للحقيقة والماهية فى الذات أو الصفات من حيث هما، مع الاحتراس الوثيق بتقرير المخالفة التامة بين ماهية ذات الاله وصفاته، وماهية المخلوقات وصفاتهم .. يقول القرآن الكريم فى سورة الانعام ..

﴿ ذلكم الله ربكم لا اله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل . لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير . ﴾[1]

ومن الحديث: ﴿ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا . ﴾[2]

ومن البدهى ان هذا الموقف لا يؤخذ على الاسلام فى شئ، ولا يقال أنه حجر على العقول أو انتقص من حرية الفكر .. فالعقل البشرى وهو عماد العقيدة فى الاسلام يقف الى الآن موقف العجز المطلق أمام حقائق الاشياء جميعا، وكل الذى وصل اليه إنما هو الخواص وبعض الصفات والآثار ..

أما البسائط المجردة فلم يصل الى حقيقتها بعد ..

وما كان الاسلام ليكلف الناس مالا تستطيع ان تدركه العقول والأفهام،

(١) - الانعام: ١٠٢ - ١٠٣ (٢) ابو نعيم (فى الحلية)، والاصبهانى فى (الترغيب والترهيب)

٤- رسم الطريق الى معرفة صفات الخالق، وأدراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها .. والوصول الى ذلك عن طريق النظر في الكون نظرا صحيحا، وتحرير العقول والافكار من الموروثات والاهواء والاغراض حتى تصل الى الحكم الصائب ..

والقرآن الكريم يحث دائما على النظر في المكونات والتأمل في المخلوقات، ويرفع من قيمة العقل، ويعلي من قدره، حتى أنه ذكر العقل في اكثر من أربعين موضعا من القرآن مقرونا بالتبجيل والتكريم والحث على الجد الى أدراك الحقائق، وكشف مستورات الوجود ..

٥- تقوية الصلة بين الوجدان الانساني والخالق جل وعلا، حتى يصل الانسان بذلك الى نوع من المعرفة الروحية، وهو أعذب وأصدق أنواع المعرفة جميعا .. وذلك أن الوجدان الانساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة ونتائج الاقيسة الحسية ...

٦- مطالبة المؤمنين بأن تظهر في اقوالهم وأفعالهم آثار هذه العناصر العقدية، فالمؤمن متى أعتقد أن خالقه قادر كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه، وأن يلجأ اليه،

(٢) التفكير فى خلق الله لا فى ذات الله :

لقد حرص الإسلام ان يؤكد هذا المنهج الذى يقوم على " التفكير فى خلق الله لا فى ذات الله " ..

إن الله ذات وصفات ، وأنه خلق هذا العالم من لا شئ وبعد ان لم يكن ، خلقه من العدم ، والله هو الخالق لكل ما يجرى فى العالم من تغييرات ، ويمكنه أن يعدمه كليا أو جزئيا .. وهو مصدر النعم ، وهو الرحمن الرحيم ، وإن بعث الاجساد والارواح معا حق .

ويؤكد النبى صلى الله عليه وسلم أنه ليس إلا بشر مثلكم ، وإنما الاله الحق هو خالق الانسان ، وخالق العالم كله ..

إن الله مؤلف هذا الكون وحافظه ومدبر شئونه ، وأنه مستغن بذاته عن كل ما عداه .. ذلك أرقى مفهوم عرفته البشرية للإله الواحد ..

فالله هو خالق الاسباب والعلل ، ومصدر سنن الكون والطبيعة وقوانينها ؛ فهو القوة الخالقة المبدعة ، القوة الخالقة للاشياء والاسباب ، والمقدر لهذه الاسباب أو لهذه السنن المطردة والقوانين المنتظمة ... فالسبب أو القانون نفسه ليس قوة عاقلة مدركة خالقة مبدعة ، بل هو نفسه جزء من نظام شامل لعدد لا يحصى من الاسباب والسنن والقوانين ..

لذلك لم يكن فى العقلية الاسلامية تعارض بين العلم المبنى على البحث فى سنن الكون وأسبابه والايمان بالله ، بل هناك أرتباط وثيق بين الكون وما فيه من سنن منتظمة من جهة ، والله المحيط بها كلها والخالق لها من جهة أخرى ..

والله في العقيدة الاسلامية بالنسبة الى الكون (خالق) لأصل وجوده ومقدر لسننه ونظامه .. ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾.

وما دام هو الخالق له، وهو المالك له، والمتصرف به، والقادر على توسيعه وزيادته، وعلى أبادته وأفنائه ..

وما دام هو الموجد لسننه وقوانينه، فهو كذلك الحاكم ببقائه كذلك واستمراره، والقادر على الغائه وتبديله .. ﴿له الخلق والامر﴾.

فكل خصائص الكائنات، وجميع سنن الكون ونواميسه وقوانينه، ليست إلا مخلوقة مقدرة والله مسيطر عليها، وليس هو جزء منها، وليس هو سبب من جملة الاسباب، ولا علة من العلل .. فالاسباب والعلل والقوانين والنواميس كلها مخلوقة خاضعة، فهي من خلقه وتقديره ..

والكون منظم لا فوضى فيه، ولكن انتظامه مرتبط بإرادة الله تعالى وقدرته، واستمرار هذا النظام منوط كذلك بمشيئته العليا ..

إن كل تعليل لحوادث الطبيعة بقانونها تعليل ناقص، لأن القانون واقع يحتاج الى تعليل، وليس القانون موجدا للحادثة من العدم ..

وكل افتراض لقوة كامنة أو خفية إن صح، فهو ناقص يحتاج الى تعليل هذه القوة الكامنة غير الواعية ولا العاقلة.

لذلك كان الايمان بالله الخالق متمما ومكملا لنظرتنا الى الكون والطبيعة وما فيها من حركة وتطور ومن سنن وقوانين .. فهي محتاجة الى وجوده، مفتقرة الى استمرار أمداده وعنايته، مؤتمرة في مسيرها وكيانها بأمره ...

فالكون كله بمادته وسننه منقاد لمشيئته وهو ملك له، وعليه انبسط سلطانه ..(1)

(1) عن كتاب نظام الاسلام (العقيدة والعبادة) للدكتور محمد المبارك ..

(٢) التوحيد --(١)

ومما تقدم يتبين أن (التوحيد) حقيقة فطرية لا سبيل الى تجاوزها بالتعدد أو بالانكار ...

والعقيدة في الله عنصر ثابت في النفس البشرية، قائم في صميم الفطرة يهدى البشرية الى خالقها ..

هذه العقيدة لم تتطور، كما يزعم أصحاب المذاهب الفلسفية من عبادة الآباء وعبادة الطواطم وعبادة الوثن .. الى التوحيد، وإنما العكس هو الذى كان في الحقيقة فقد بدأ العالم موحدا، وبدأ الانسان موحدا، ثم انحرف عن العقيدة الصحيحة ..

وليس صحيحا في وقائع التاريخ أنه مرت على البشرية مجموعة من العقائد الوثنية انتهت الى التوحيد، وإنما الثابت من التاريخ أن البشرية مرت في دورات متواليه من الايمان والالحاد، والتعدد والتجريد والتجسيم ...

* * * * *

ومن الحق أن يقال أن الغرور قد ركب الكثيرين على أثر الكشوف العلمية مما سوغ لهم تأليه العلم، أو انكار كل ما يصل العلم فيه الى رأى .. وكان من أخطر السموم المسمومة التى رمى بها البعض: انكار العالم الغيبى ..

ولكن العلم لم يلبث أن تنازل عن غلوائه وخفض من كبريائه وعاد ليؤمن بالقوة الخفية على النحو الذى سجله العلماء في السنوات الاخيرة، وخاصة بعد انفلاق الذرة وما تقرر من أن العالم كله مشتق من النور، والنور حقيقة غيبية لا سبيل الى اخضاعها للمختبرات والمجاهر ..

(١) قضايا العصر في ضوء الاسلام، د. أنور الجندى.

غير ان الفلسفه لم تلبث ان حلت محل العلم فى دراسة الغيبيات ، وأنها قامت اساسا على الاساس المادى الذى لا يعترف إلا بالمحسوس والمرئى .. وبذلك عجزت أن تقول كلمة نهائية ..

وبقى من وراء الفلسفة أصحاب القوى الهدامة الداعون الى تدمير العالم والسيطرة عليه ..

ومن هنا يجيئ الخطر فى القول بأنه لا يوجد عالم وراء هذا العالم ، ومن شأن ذلك أن يؤدى الى أنكار الله ، والوحى ، والنبوه ، والقرآن ، والبعث والنشور ، والجزاء والحساب ..

إن المعرفة الاصليه أنما تقوم على اساس تكوين الانسان نفسه (روح ومادة) : وهى المعرفه العقليه ، والمعرفه المستمدة من الوحى البصيرة ..

ولا شك ان العلم سلاح من أسلحة المعرفه ، ولكنه ليس سلاحها الوحيد ، ومن الخطأ القول بأنه الوسيله الوحيدة للمعرفة ، وان ما عداه ليس شيئا ..

ويقول (جيمس جينز) العالم الفلكى الكبير .. بعد دراسة علمية أستمرت خمسين عاما : ان مشاكل العالم الكبرى لا يحلها إلا وجود الله ..

ويقول (سومرست موم) :

إن الغرب قد نبذ اليوم الاله وآمن بأله جديد هو العلم ، ولكن العلم كائن متقلب ، فهو ينفى اليوم ما أثبته بالامس ، ويثبت غدا ما نفاه اليوم ، لذلك نجد عبادة فى قلق دائما لا يستقرون ..

* * * *

ويقول العلامة (كريسي موريسون) - رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك، وهو يلقي الضوء على موقف العلم من الدين:

إن تحطيم ذرة (الذرة) التي كانت أصغر قالب في بناء الكون، إلى مجموعة نجوم مكونة من نيوترونات والكترونات طائرة .. قد فتح مجالا لتبديل فكرتنا في الكون تبديلا جوهريا، ولم يعد التناسق الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي، وإن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدع مجالا لوجود (مدبر جبار) وراء ظواهر الطبيعة.

إن الاكتشافات الحديثة قد بعثت النتائج التي وصل إليها الفلاسفة، إن وجود الخالق تدل عليه منظمات لا نهائية لولاها لكانت الحياة مستحيلة بدونها، فإن وجود الإنسان على ظهر الأرض، والمظاهر الفاخرة لذكائه، إنما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون ...

ولذلك .. فإن العقل لا يمكن أن يستقل بمعرفة الله تعالى، ولا أن يهتدي إليه إلا إذا صحبه في تلك الغاية قلب ...

ويقول الأستاذ أنور الجندي[1]

إن الإسلام هو دين الفطرة، والفطرة ليست عقلا صرفا، ولا عاطفة محضا، إنما هي مزيج من العقل والعاطفة إذا ألتقيا ..

تلك هي الفطرة المركوزة في النفس البشرية

﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾

* * * *

(١) قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ٦٩

لقد جاء الإسلام منذ خلقه البشر بالتوحيد الخالص الذى لا يشوبه شئ من الشرك .. حمله الرسل والنبيون الى الناس كافة على طول حياتهم الانسانية ، لتتحقق لهم سعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، وليطهروا أنفسهم من ما تحمله عقيدة الاشراك مما يلوث النفوس ، ويهبط بها عن المستوى اللائق بالإنسان .. الذى خلقه الله ليكون مرتفعا عن الطبيعة الحيوانية المنحطة ، وليحميه من أذلال نفسه واحتقارها ، بتقديم العبادة وأجراء الطقوس الدينية لمخلوقات لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ... ﴿.. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ...﴾[1]

* * * *

ولقد رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على منكرى وجود الخالق كما رد النبيون من قبل .. من ذلك قوله تعالى :

﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون .﴾[2]

هكذا رد الله - سبحانه وتعالى - على منكرى الألوهية بالمنطق السليم، فهم بين أمرين :

أما ان يكونوا قد خلقوا من غير شئ وهو محال ، لأنهم محصورون فى هياكل محدودة ، وكل محدود قابل للزيادة والنقص ، ووجوده فى حدود يحتاج لموجد ، فالموجد هو الله ..

وأما أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم ، ويقتضى هذا حدوث الله .. وهو محال ، كذلك ما داموا لا يقدرون على الخلق ، فهم بالأحرى لم يخلقوا السماوات والأرض ، ولا يملكون خزائن الله ، ولا يملكون السيطرة على هذا الكون ، فكيف يكفرون بوجود الخالق ...

---

(١) المنافقون : ٧ (٢) الطور : ٣٥-٣٧

لقد أثبت ابراهيم - عليه السلام - من قبل .. وجود الخالق لقومه فيما حكاه عنه رب العزة والجلال .. من أستعمال تلك الطريقة المنطقية الصادقة ..

وتتلخص هذه القضية المنطقية فى أنه فرض أن الكوكب هو الخالق: ﴿.. فلما أفل قال لا أحب الآفلين ..﴾[١]

فأتجه نحو القمر، فأفل هو الآخر: ﴿ فلما رآى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنى برئ مما تشركون. إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا ..﴾[٢]

فالخالق لايغيب عن الوجود، ولايكون مخلوقا محدودا فى رقعة من الكون.[٣]

ومن الآيات التى تدل على وجود الله - سبحانه وتعالى:

﴿هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير. خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير. يعلم ما فى السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور.﴾[٤]

يخبر تعالى عن تفسير وتفصيل آثار قدرته، فهو الذى خلقكم أيها الناس بهذا الشكل البديع المحكم، فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به تعالى، ولكن منكم من كفر به، ومنكم من آمن وصدق بخالقه ..[٥]

قال الطبرى: اى منكم كافر بخالقه وأنه هو الذى خلقه، ومنكم مصدق به موقن انه خالقه وبارئه ..[٦]

وقدم الكافر على المؤمن لكثرة الكفار وقلة المؤمنين..

(١) الانعام: ٧٦ (٢) الانعام: ٧٨-٧٩ (٣) الارتباط الزمنى والعقائدى بين الانبياء والرسل: الدكتور محمد وصفى ص٨٢ (٤) التغابن: ٢-٤ (٥) صفوة التفاسير ج٣ ص٣٩١
(٦) تفسير الطبرى ٧٨/٢٨

والله - سبحانه وتعالى - عالم بأحوالكم، مطّلع على أعمالكم، لا تخفى عليه خافية من شئونكم وسيجازيكم عليها ..

ثم فصل تعالى آثار قدرته ودلائل وحدانيته فقال: ﴿ خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ أى خلقهما بالحكمة البالغة، المتضمنة لمصالح الدنيا والدين، لا عبثا ولا لهوا ..

وخلقكم فى أحسن صورة وأجمل شكل، فأتقن وأحكم خلقكم وتصويركم، فإن من نظر الى شكل الانسان وصيغته وتناسب أعضائه، علم أن صورته أحسن صورة بالنسبة لسائر أنواع الحيوان، ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب على وجهه .. واليه تعالى وحده المرجع والمآب، فيجازى كلا بعمله ..

فهو - سبحانه وتعالى - يعلم ما فى الكائنات من أجرام ومخلوقات، ويعلم ما تخفونه من نواياكم وأعمالكم، فهو العالم بما فى الصدور من الأسرار والخفايا، فكيف تخفى عليه أعمالكم الظاهرة ..(١)

قال فى البحر: نبه الله تعالى بعلمه بما فى السماوات والأرض، ثم بعلمه بما تخفيه العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه بما أكنته الصدور، على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شئ، لا من الكليات ولا من الجزئيات، فابتدأ بالعلم الشامل، ثم بسر العباد وعلانيتهم، ثم بما تنطوى عليه صدورهم (٢)

ومن الآيات الدالة على وجوده - سبحانه - أيضا - قوله تعالى:

﴿ سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى . ﴾(٣)

(١) - صفوة التفاسير جـ٣ صـ٣٩٢ (٢) تفسير البحر المحيط ٢٧٧/٨ (٣) الأعلى: ١-٥

ولقد ذكر الله تعالى -- : ﴿ إن هذا لفى الصحف الاولى . صحف ابراهيم وموسى . ﴾[١]

ومن الآيات العقلية على وجود الله - تعالى - ما ذكره سبحانه فى قوله :

﴿ إن فى السماوات والأرض لآيات للمؤمنين . وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ﴾[٢]

اى أن فى خلق السماوات والأرض وما فيهما من المخلوقات العجيبة ، والاحوال الغريبة ، والامور البديعة ، لعلامات باهرة على كمال قدرة الله وحكمته لقوم يصدقون بوجود الله ووحدانيته ..

وفى خلقكم أيها الناس من نطفة ثم من علقة ، متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق ، وفيما ينشره تعالى ويفرقه من انواع المخلوقات التى تدب على وجه الأرض ، آيات باهرة أيضا لقوم يصدقون عن اذعان ويقين بقدرة رب العالمين ..

كذلك فى تعاقب الليل والنهار ، دائبين لا يفترقان ، هذا بظلامه وهذا بضيائه ، بنظام محكم دقيق ، وفيما انزل الله تبارك وتعالى من المطر من السحاب ، الذى به حياة البشر فى معاشهم وأرزاقهم ..

قال ابن كثير : وسمى تعالى المطر رزقا لأن به يحصل الرزق ..(٣)

فأحيا بالمطر الأرض بعد ما كانت هامدة يابسة لا نبات فيها ولا زرع ، فأخرج فيها انواع الزروع والثمرات والنبات ...

(١) الاعلى : ١٨-١٩ (٢) الجاثية : ٢-٦ (٣) مختصر ابن كثير ج٣ ص٢٠٨

وفي تقليب الرياح جنوبا وشمالا ، باردة وحارة .. ﴿ آيات لقوم يعقلون ﴾
أي علامات ساطعة واضحة على وجود الله ووحدانيته ، لقوم لهم عقول نيرة
وبصائر مشرقة ... (١)

وقال الصاوي :
ذكر الله سبحانه وتعالى من الدلائل ستة في ثلاث آيات ، ختم الأولى
بـ ﴿ للمؤمنين ﴾ والثانية بـ ﴿ يوقنون ﴾ والثالثة .. بـ ﴿ يعقلون ﴾
ووجه التغاير بينهم في التعبير ، أن الإنسان إذا تأمل في السماوات والأرض
وأنه لابد لها من صانع آمن ، وإذا نظر في خلق نفسه أزداد إيمانا بأيقن ،
وإذا نظر في سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه .. (٢)

ومن ذلك قوله تعالى :
﴿ قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين .. ﴾ (٣)
وقوله تعالى :
﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه
بكل شيء بصير . ﴾ (٤)

وقوله تعالى :
﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر
الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء
ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل

---

(١) صفوة التفاسير جـ٣ صـ١٨٢ (٢) حاشية الصاوي على الجلالين ٤/٦٢
(٣) الملك : ٣٠ (٤) الملك : ١٩

الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ، يغشى الليل النهار ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون .﴾[1]

وهذا بعض ما جاء فى كتاب الله من الدلائل على وجوده ، فليس من المعقول أن يوجد هذا الكون بما فيه من تلك الآيات العظيمة ، المحكمة الخلقة ، البالغة نهاية النظام والتنسيق والدقة من غير خالق مبدع أنشأها بهذه الصورة العجيبة المذهلة للعقول .. يقول تعالى :

﴿... ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير .﴾[2]

* * * *

تم بحمد الله

---

(١) الرعد : ٣-٤ (٢) يس : ٢-٤

أهم المراجع

١ القرآن الكريم

٢ صفوة التفاسير تأليف: محمد علي الصابوني. دار القلم بيروت

٣ تفسير القرآن العظيم لابن كثير

٤ تفسير ابي السعود .

٥ تفسير البيضاوي

٦ " الخازن

٧ " الالوسي

٨ " القرطبي

٩ التفسير الكبير

١٠ تفسير البحر المحيط

١١ حاشية الصاوي على الجلالين . .

١٢ كتاب بهجة النفوس .

١٢ الادلة المادية على وجود الله . الشيخ محمد متولي الشعراوي

١٤ مع القرآن في الكون تأليف م. د. محمد جمال الدين الفندي

١٥ قضايا العصر في ضوء الاسلام تأليف م. انور الجندي.

١٦ المذهب المادي في العصر الحاضر تأليف م، احمد فؤاد الاهواني

١٧ الامة الاسلامية تأليف م. ١ حمد حسين . .

١٨ الدين تأليف د. محمد عبد الله دراز . .

١٩ نظام الاسلام (العقيدة والعبادة) تأليف د. محمد مبارك

٢٠ الارتباط الزمني والعقائدي بين الانبياء والرسل تأليف د. محمد وصفي .

٢١ الطريق الى الكواكب تأليف م. سعد شعبان

٢٢ مقالة للدكتور الشيخ محمد سليمان فرج - مجلة منار الاسلام عدد نوفمبر ١٩٩٥